

تيسير النحو : النحو في الكتب المساعدة

حكوم مريم بإشراف الدكتور والي دادة عبد الحكيم

جامعة محمد طاهري بشار

ملخص المقال :

إن النحو العربي قانون ينظم الكلام لدى مستعمل اللغة أو من يريد تعلم العربية . فهو البوابة

لجميع علوم العربية ، و لفهم معاني المدونات اللغوية

فإذا كان صعبا عليهم نفروا منه

لذا وجب تيسيره و تيسيره للطلبة من خلال الكتب المساعدة حتى تكون الركيزة و الأساس

للدروس النحوي العربي

Summary

The Arabic grammar law regulating speech to the inhibited language, or who wants to learn Arabic. It is the gateway to all the Arab Sciences, and to understand the meanings of language blogs If it was difficult for them jeered him Therefore there must be facilitated and facilitating students through the help books in order to be the foundation and the substrate of the Arab grammar lesson

أولت الدراسات الحديثة في اللغة العربية اهتماما كبيرا لمستويات اللغة الصوتية و الصرفية و التركيبية ، وقد اهتم كل باحث بدراسة و تفصيل كل جانب من اللغة ، وهذا لا يعني أن هناك حدود مانعة بينها إذ يمكن لكل باحث أن ينتقل بين المستويات بحثا عن فكرة.

استحوذ الجانب التركيبي على الاهتمام الكبير بَعْدُ مستوى محدود بنوع الجملة و مكوناتها و خصائصها ، إضافة إلى القياس عليها لإنتاج جمل جديدة، أي دراسة الجملة أفقيا و عموديا.

و نحو اللغة القاموس الثابت الذي يحتكم إليه الناس¹ لمعرفة صحة لغتهم أو خروجهم عنها و في هذا قال ابن جني : "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصريفه من إعراب و غيره كالثنائية و الجمع ، والتحقيق ، و التكسير و الإضافة و النسب و التركيب و غير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة... و إن شذَّ بعضهم عنها رد به إليها² .

فالنحو وُجد لمحاكاة كلام العرب و لتعليم الأجانب اللغة العربية ، و رجوع من ذهب سليقته إلى العربية بواسطة .

مرَّ النحو العربي في نشأته بثلاث مراحل :

1- جمع اللغة³ و هي الأخرى مرت بثلاث مراحل :

أ- جمع الأفراد من أفواه الأعراب ، إذا كان العلماء يرحلون إلى البادية لتدوين الألفاظ و التراكيب من الأعراب دون ترتيب معين .

ب- جمع الألفاظ المتعلقة بموضوع واحد في مؤلفات خاصة من ذلك كتاب فقه اللغة و سر العربية للثعالبي ، وكتاب الخليل ، و الإبل للأصمعي ... وغيرها.

ج- وضع المعاجم اللغوية من ذلك معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي .

2- تنقيح اللغة : تخير العلماء في جمع اللغة القبائل التي يؤخذ منها : و هي قيس ، و تميم ، وأسد ، و هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُحْدَ ، ومعظمه

و عليهم يشكل في الغريب ، و الإعراب ، و التصريف⁴ . إضافة إلى هذيل وبعض كنانة ، و بعض طيء و لم يؤخذ عن عن حضري قط ، إنما من الأعراب الذي يؤثق في عريبتهم⁵ . ثم بدأ العلماء باستقراء كلام العرب لاستنباط الأحكام و القواعد . فالسماع مجموعة من الأعمال نبدأ بالتأملات ، و تنتهي بالكشف عن القواعد ، ويقوم بين البدء و الانتهاء بالتصنيف و التقسيم و الاستقراء⁶ .

3- تقنين اللغة ، بعد الجمع و التنقيح ، و الاستقراء تأتي مرحلة الكشف عن القواعد فظهرت مؤلفات جمعت القواعد التي استنبطت من كلام العرب مع الشواهد .

و ضمت هذه المؤلفات مستويات اللغة الأربع ، منها الكتاب لسيبويه (183هـ) و المفصل للزمخشري (538هـ) فميزوا بين المستويات ، فنجد سيبويه يقول : " و أمّا قول النحويين⁷ ، أو قوله : " سمين ذلك في باب التصريف إن شاء الله⁸ . فالنحو اشتمل على النحو و الصرف معا غير أشتات أخرى من الدرس اللغوي⁹ . ثم تقلصت الدراسة النحوية إلى دراسة التركيب ، و الصرف مثل ألفية ابن مالك و شروحها . و يتجرد النحو من كل المستويات ، إذ تجد بعض المؤلفات القديمة تستقل بمسائل النحو من ذلك : لحن العامة للكسائي ، المذكر و المؤنث للقراء ، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه¹⁰ .

لم يختلف التأليف في النحو العربي الحديث عن التأليف القديم من حيث الكيف (المادة).

و إنما الاختلاف كان من حيث الكم . فالتأليف النحوي في القديم ، تداخلت فيه المستويات . فاللغة مجموعة أصوات ، تتكون منها الوحدات كالكلمات ، و العمل ...¹¹ . ثم أصبح التأليف النحوي يقتصر على الجانب التركيبي و الصرفي

، فلا يمكن للنحوي الاستغناء عن الصرف لأنه يهتم بالتغيرات التي تطرأ على الكلمة . و النحو هو العلم بأحوال الكلمة متنقلة ، ويرى ابن جني الأولى معرفة الرف قبل النحو ، أي معرفة أحوال الكلمة الثابتة ثم معرفة أحوالها المتنقلة¹².

فجميع المؤلفات التي عالجت النحو و الصرف ، عالجتهما ضمن علم واحد ، و المؤلفات التي اكتفت بالجانب التركيبي . استعملت الصيغ الصرفية لتعليل حالة الكلمة نحويًا.

كتب النحو المساعدة :

كتاب إرشاد السالك لألفية ابن مالك لصبيح التميمي :

هو كتاب موجه إلى طلبة الدراسات الجامعية الأولى بطريقة ميسرة توافق المرحلة فجمع من كتب النحو ، و شروح الألفية الأفكار ، و رتبها وفق منهج خاص اهتم فيه بثلاث نقاط :

1- تقديم القاعدة النحوية في أبواب ، تنصدها أبيات الألفية الخاصة بكل باب ، مع إعادتها بالتفصيل ، و الهدف هو تركيز أبيات الألفية ، و القاعدة التي تحملها في ذهن الطالب .

2- تدعيم القواعد المعروضة بالشواهد ، و أكثرها من القرآن الكريم لإبقاء الصلة بين الطالب و القرآن الكريم .

3- تقديم المادة بطريقتين : *الأولى : عرض القاعدة من خلال أبيات ابن مالك ، و يلحقها بالفوائد من عرضها .

*الثانية : إلحاقها بالتدريبات ، حتى الطالب من استثمار ما عمله في

القاعدة .

كتاب دروس في النحو دروس مبسطة مع تطبيقات نموذجية للدكتور محمد بن حمو :

يقدم الكاتب مواضيع نحوية تسهل على طلاب الثانويات و المعاهد التكنولوجية ، وحتى الأساتذة في تقديم المادة إلى التلاميذ : لذا جاء بأسلوب سهل ، وشرح مبسط ، و أرفق كل شرح بنموذج تطبيقي ، و تمرينات غير محلولة مع تمارين تطبيقية في آخر الكتاب لتدعيم الفهم لدى الطالب .

و غالبية الشواهد من القرآن الكريم ، و الأشعار لأنهما المصدران الأساسيان للمادة اللغوية العربية ، و تجنب فيه الخلافات المذهبية ، و اقتصر على الشائع و المتفق عليه ¹³.

و الملاحظ أن غالبية المواضيع هي مفاهيم نحوية ، تتخللها المواضيع الصرفية ، فنجد عالج الممنوع من الصرف بشرح مفصل و بسيط . و قد استعمل الصيغ الصرفية في تعليل بعض المواضيع النحوية ، وذلك مثل معالجته للأفعال فاعتمد على تقسيم الأفعال حسب الصيغة إلى : معتل و صحيح .

لم يقدم الكاتب كل مواضيع النحوية المعتمدة في الألفية فلم يعرض إلى اسم الموصول و اسم الإشارة ، كموضوع قائم برأسه ، و إنما ذكرها ضمن قواعد أخرى مثل قاعدة الفاعل و المفعول به ، فهما نوعان من أنواع الفاعل و المفعول به كقوله في أنواع الفاعل : " اسم الإشارة جرى هذا الحصان (هذا) ، اسم إشارة في محل رفع فاعل ، و اسما موصولا ، جاء الذي رأيناه بالأمس " ¹⁴ . و المصدر الوحيد الذي صرح به الكاتب هو الألفية لابن مالك . و لا توجد في الكتاب قائمة المصادر المعتمدة .

و الأسلوب الذي استعمله في طرح المادة سهل مبسط ، و مفصل يتناسب مع هدف تقديم النحو بطريقة بسيطة لطلاب المعاهد التكنولوجية و الثانويات . و بوجود ضعف عام في مادة النحو لدى الطلاب ¹⁵ - حتى في الجامعة - فإن الكتاب يهّم طلاب الجامعات للإفادة منه في ربط التركيب بمعناه و إعرابه .

كتاب الإحاطة في النحو لصالح بلعيد :

الإحاطة في النحو هو سلسلة لغوية قدّمها صاحبها لهدف تسهيل المادة النحوية و الصرفية لطلبة الجامعة وفقاً لبرنامج المقرر لهذه المادة . فقسم السلسلة قسمين :

قسم الصرف : لمعرفة أحوال الكلمة و هي ثابتة و التغيرات التي تطرأ عليها¹⁶ .

قسم النحو : لمعرفة أحوال الكلمة و هي متنقلة في الكلم .

و شرح في مقدمة الكتاب معنى الإحاطة و الهدف من تأليف الكتاب ، و هو تقريب الطالب من مادة النحو بشرح يسير ، و إعانة لهم في تحصيلهم لمادة الصرف و النحو¹⁷ .

اعتمد في شرحه على مصادر اللغة العربية : و هي القرآن الكريم — و الحديث النبوي الشريف* — و الشعر العربي إضافة إلى الأمثلة التي أتى بها لتوضيح القاعدة من ذلك استشهاده بأسماء الآلة التي ظهرت في العصر الحديث و ليس على وزن صيغ أوزان الآلة نحو : تلكسوب ، الردار ، و تلفزيون¹⁸ .

و قد اعتمد أيضاً قرارات المجمع اللغوي المصري و التيسيرات التي قدمها .

لم تخرج هذه الكتب النحوية المبسطة عن تيسير الكتاب النحوي لأن الطلاب أصبحوا يبتغون دراسة اللغة من خلالها نحوها ، و هو مقيد كتابة . فغاية النحو الأصلية هي معرفة النسبة بين صيغة النظم و صورة المعنى أي دراسة التراكيب و وظائفها النحوية و الرابط بينها و بين مدلولاتها كل ذلك من خلال ما تواضع عليه العرب في استعمالات لغتهم و كل ذلك يتأتى¹⁹ من البحث أو آخر الألفاظ ، و العامل فيه تأليف الكلام . و قد درست الكتب الثلاثة المادة

النحوية بـ:

— دراسة أواخر الألفاظ .

— العامل .

— التأليف في الكلام و النظم ، لأنها اعتمدت ألفية ابن مالك .

أمّا الصرف فإنه يبحث في وظيفة الصيغة الصرفية ضمن الجملة .

هناك محاولات لإيجاد طريقة تسهل تدريس النحو ، و إيجاد الرابط بين الطالب و اللغة من هذه المحاولات ، مقال النحو العربي بين جمود القواعد و إبداع النصوص للدكتور محمد بن حمو ، و مقال شكوى مدرس النحو من مادة النحو للدكتور صالح بلعيد ...و غيرها .

فانطلقت معالجتهم من وجهة نظر الأستاذ المتمرس الذي درّس المادة لسنوات ، و تمحورت المشكلة في عدم وجود رابط يسمح لهم تقديم المادة النحوية إضافة إلى نفور الطلبة من هذه المادة . فنجد الدكتور صالح بلعيد يلقي اللوم على العلماء القدماء الذين ألفوا في النحو مثل الذي قدمه سيبويه ، و الكسائي ، و الفراء ، و المبرد و غيرهم ، و حتى أنه أخذ على كل واحد منهم مأخذاً ، فقال : " صحيح أن هؤلاء العلماء و غيرهم الكثير للغة العربية ، و أسسوا أركانها فهم مبجلون و لكن لا يعني ذلك أنهم منزهون عن الخطأ" ²⁰ . و يقول عن ابن مالك " ألم يكن سبب التردّي النحوي فكان يحشو أبياته بكثير من المسائل التي لا طائل من ورائها مثل الشاذ و النادر ، و النذر و القليل ، وكان ذلك عينة من الصراع الذي يعيشه فغاب الإبداع ²¹ ، فحين نجده في شرحه للألفية في كتابه " الألفية في الميوان يبين أهميتها و حسن صناعتها لأنه نظر إليها من خلال العصر التي أنتجت فيه و بعد عرض بعض المشكلات الأخرى كالعلل و التوهم النحوي و النحو التخصصي و النحو التربوي لم يقدم حلاً واضحاً و إنما أشار إل التركيز على كثير من المخلفات النحوية ، و قد قدم الدكتور بن حمو طريقة في تدريس النحو ثلاث نقاط : الأولى : تتعلق بالمعلم إذ يجب عليه تدريس النحو بأسلوب محب للنفوس فيكون للقاعدة بأسلوب ميسر سهل يعتمد على الألفاظ المتجانسة و المنسجمة " و الألفاظ إذا كانت جميلة قوية بها صلة التلميذ فيشرح صدره للأخذ و يتعد عنه الكلل و الملل ²² .

الثانية : تتعلق بالمادة النحوية " فيجب توضيح العلاقة المتينة بين النحو و القرآن الكريم " ²³ - إن القرآن الكريم هو منهج في جميع جوانب الحياة فهو المشرع و المربي ، و وسيلة الاتصال بين الله و عباده ، نزل بلغة العرب جمع أساليبهم

في الكلام بأسلوب معجز لا يمكن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله قال عز وجل: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾²⁴. فهو النص النقي و الصافي الذي يمكن للطلاب الاعتماد عليه في دراسة اللغة من جميع جوانبها : كالدلالة و التركيب و الصرف و الصوت ، إضافة إلى البلاغة و المجاز و الدراسات الإعجازية ، وحتى التربية و العلوم .

و من أجل ذلك يجب فهم القاعدة من خلال النصوص و كأنه يعيد استقرار الكلام العربي لإيجاد القاعدة بنفسه . فمثلا عندما يقرأ جملا تحتوي على الفاعل فإنه يستنتج أن هناك اسما مرفوعا يأتي بعد الفعل و يقوم به فلا يبقى سوى المصطلح و هو "الفاعل " إذن يستوعب المفهوم بعدها يقدم له المصطلح .

الثالثة : تتعلق بالمتعلم ، إذ يجب ان يكون " طرفا في العملية البيداغوجية "²⁵ ، فيسأله الملم و يعطيه المجال للسؤال و الإجابة و المقارنة و الستنتاجات و إبداء الرأي و لو كان بعيدا عن الصواب - دون الاسخفاف برأيه - و تشجيعه على رفع الصوت في القراءة و المشافهة .

و ترجع بنا هذه الطريقة إلى طريقة الأولين في ضبط النحو من خلال استقراء كلام العرب . ونجد صاحب المفضل في شرح الأبيات قد لخص المشكلة في تعلم النحو و صعوبته على طالبه و الحل ذلك . فالمشكلة هي إدخال المنطق عليه : "..... و صارت تقام البراهين و تساد الأقيسة على مسائل و ملحقاته و مستتبعاتها ، وما ضم إليها و قرن معها كما على المطالب العقلية و المسائل النظرية و جعل ذلك كله بين تلك القواعد الصغيرة القليلة "²⁶ .

وصعوبته مثل لها بقوله ".... فرمما اشتغل به طالبه و هو في قماطه و مات بعد ان يجاوز ارذل العمر و هو لم ينته إلى أوسطه من سوء اختيار المتوسطين و شدة جمود المتأخرين "²⁷ .

و الحل في الرجوع إلى ما كتب في بداية النحو " و لو وفق الناس المشتغلون بهذا العلم للرجوع إلى ما ألفه المتقدمون فيه لحصلوا منه على الكثير في الزمن اليسير "²⁸.

و قد أضاف الدكتور عمارة بعض النقاط التي تساعد في كسر الحاجز بين النحو و المتعلمين و هي عبارة عن برامج لتدريس النحو :

1- تقديم القواعد بقدر معين من خلال الكتاب و لم يعط أهمية لنوعية الكتاب سواء كان قديما أو حديثا ثم استدرك قائلا : " و لعل الأولى أن يكون حديثا لأنه جملة سوف تكون اسهل معنى و أقرب إلى واقع المتعلم من كتاب القديم " ²⁹ .

2- يجب أن تعقب المحاضرة بالتطبيق على الشواهد ثم التدريب عليها و الابتعاد عن الخلافات و الشاذ و الضرورات و غيرها ³⁰ .

و يجب مراعاة البعد التعليمي في التعامل مع النص التراثي بأسس حديثة و جديدة ، و ذلك بتنوع النصوص التراثية و اختيار المعلم موضوعا و شرح كيفية معالجته في مؤلفات النحويين .

و الهدف الآخر هو معرفة محاولات المحدثين و القدماء المنهجية في تفسير الظواهر النحوية ³¹

و صفوة القول إن هذه الطرق في تدريس النحو تأتي أكملها إذا طبقت في مراحل مبكرة من التعليم ، إضافة إلى عدم استخفاف المعلمين بالمادة و استصعابها أمام التلاميذ . لأن التلميذ ذكي متى ما رأى استخفافا من المعلم استخف هو أيضا ، و متى ما استصعب المادة نفر منها ، بل يجب عليهم إجلال اللغة العربية ، و تسهيلهم لتعلمها و تعلم قواعدها ، كأن يقدم القاعدة مع الشواهد ثم تطبيق القواعد على القصص التي تدرج ضمن البرنامج المسطر لمواد العربية كالقراءة و التعبير ، فيكتشف التلميذ من ذلك أن فهم المعاني مرتبط بالقراءة الصحيحة .

و هذا التدريب يمنحه فهم النصوص و يكتسب الأسس الأولية في النحو و عندما يصل للمرحلة الجامعية لا يصطدم بالمادة التي يجدها ، و إنما يحاول تقييد أسسه النحوية بالنصوص النحوية التراثية و تتوسع تلك الأسس بالآراء النحوية .

الهوامش :

- 1- ينظر اسماعيل أحمد عمارة ، التطبيقات في المناهج اللغوية ، الطبعة الأولى 2000، ص 265.
- 2- ابن جني ، الخصائص، الجزء 1 ، ص 34.
- 3- صبحي صالح ، دراسات في فقه اللغة ، ص 113.
- 4- السيوطي ، الاقتراح في علوم النحو ، ص 31.
- 5- المصدر نفسه ، ص 31
- 6- عبد الجليل مرتاض ، الموازنة بين اللهجات العربية الفصيحة - دراسة لسانية في المدونة و التركيب-، الطبعة 2000/2، دار الغرب للنشر و التوزيع ، ص 45.
- 7- سيبويه ، الكتاب ، الجزء الثاني ، ص 364.
- 8- المصدر نفسه ، ص 267.
- 9- عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ، ص 39
- 10- عبد العزيز عتيق ، مدخل إلى علم النحو و الصرف ، ص 180.
- 11- خالد الزواوي ، العربية 2002 مؤسسة جورس الدولية للنشر و التوزيع سبورتينج ، الاسكندرية ، ص 23.
- 12- عبده الراجحي ، فقه اللغة ، ص 149.
- 13- محمد بن حمون دروس مبسطة مع تطبيقات نموذجية ، 1989، مقدمة الكتاب .
- 14- المرجع نفسه ، ص 46.
- 15- عمارة ، تطبيقات في مناهج اللغوية ، ص 268.
- 16- صالح بلعيد ، الاحاطة في النحو ، سلسلة لغوية 1994/2، ص 8.
- 17- المرجع نفسه ، ص 5.

*- لم يأت بشواهد كثيرة منها لانقسام العلماء في صحة الاستدلال به .

18-صالح بلعيد الاحاطة ، ص 21.

19- ممدوح عبد الرحمن ، العربية و الوظائف النحوية ، 1996، دار المعرفة الجامعية ، ص 18.

20-صالح بلعيد ، شكوى مدرس النحو ، أعمال ندوة تيسير النحو 2001 ، مشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 420.

21 - المرجع نفسه ، ص 420.

22- بن حمو محمد ، النحو العربي بين الجمود القواعد و إبداع النصوص ، مجلة الحضارة الاسلامية العدد 1423 /2002، دار الغرب للنشر و التوزيع ، ص 59.

23- المرجع نفسه ، ص 59.

24- سورة الاسراء ، الاية 88.

25- بن حمو محمد ، النحو العربي بين جمود القواعد و إبداع النصوص ن ص 69.

26-الزمخشري ، المفصل في علم العربية ، ص 5.

27 - م، ن ، ص 5

28-م، ن ، ص 5.

29-م، ن ، ص 5

30- عمايرة ، تطبيقات في المناهج ، ص 269.

31- المرجع نفسه ، ص 209.